السنة النبوية والتجربة الإنسانية: الانفصال والاتصال

د. محمد عبد الحليم بيشي
جامعة الجزائر1

الملخص:

تناقش الورقة إشكالية الاتصال والانفصال مع التجارب الإنسانية والحضارات المجاورة والموروث الجاهلي، وحضور ذلك في السنة والسيرة المحمدية نقدا أو تتميما.

إذ المستقرئ لعديد الأحاديث والوقائع يشهد ذلك التفاعل مع الآخر والاستفادة من خبرته وحكمته، فالإسلام لم يقطع العلائق كلية مع الموروث الجاهلي العربي ولا مع تجارب ومهارات الأمم السابقة والمجاورة كاليهود والنصارى والروم والفرس والأحباش والقبط. فحضور التجربة الإنسانية في السنة النبوية والسيرة مشهود ودلائله كثيرة، وهذا الاستيعاب للخبرة الإنسانية كان دافعا لأخذ النافع وطرح غيره، مما جعل الحضارة الإسلامية تستوعب في ثقافتها ومدنيتها الميراث العالمي كله. فكانت حضارة الإنسان. وهذا على عكس الديانات السابقة التي اتخذت من القطيعة المعرفية مسلكا لها بحجة النقاء العقدي والتعالي الفكري.

Abstract:

This paper treats the issue of communication and alienation from human experience with neigh boring civilizations and ancient legacy of the age of ignorance going as for as the presence of this issue in the sunnah of the prophet muhamed (pb UH) and in thus life history, whether to enticing it or enhance it.

Therefore, the conversant with the prophet Muhamed's hadith and events will feel that interaction with others and benefit from their experiences and worldly wisdom. So; Islam did not break off full with Arabs and new legacy (before the coming of Islam) nor with the experimentations and skills of ancient and surrounding communities like: ferus; Christians, Romans, Prussians, Habasha, Catholic, Copts…etc.

As a result, the presence of human in the prophet's sunnah and life history is remarkable with many proofs.

Covering the human experience was to benefit from what is good and get rid of what is bad.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

This is what led the Islamic civilization embrace in its culture and civism all world's legacy. That's why it became a human civ.

تمهيد: حوت السنة النبوية ذخيرة عظيمة وهديا إلهيا سائغا وخبرة إنسانية رشيدة، وتمثل هذا الهدي جيل الصحابة الذين انتفعوا من الميراث السابق، وحولوه إلى حركات نافعة للبشر في دولاب الحياة، إنه الواقع الذي غيرته كلمات النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله وأناملة وبارقات وجهه وخلجات قلبه وزفرات صدره وخطوات رجله التي كانت خطوات التاريخ الإنساني للسير نحو الحضارة والإنسانية الكاملة. وإذا كان تاريخ أوربا ينقسم قديمه عن وسيطه بسقوط روما. وإذا كان تأريخ البشرية يتخذ من ميلاد المسيح معلما تصاعديا أو تنازليا. فإن الحقيقة غير ذلك. فالتغيير القيمي والفكري الذي أحدثته كلمات محمد صلى الله عليه وسلم في العالم القديم كان أعمق بدليل تحقيق مناطه في إنشاء أمة قدمت للحضارة الإنسانية ما أشاد به الأعداء قبل الأصدقاء.

والورقة المقدمة تناقش إشكالية الاتصال والانفصال مع التجارب الإنسانية والحضارات المجاورة والموروث الجاهلي، وحضور ذلك في السنة النبوية والسيرة المحمدية نقدا ونقضا وتتميما وإفادة واستفادة، إذ المستقرئ لعديد الأحاديث والوقائع يشهد ذلك التفاعل مع الآخر من حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقطع العلائق كلية مع الموروث الجاهلي العربي ولا مع تجارب ومهارات الأمم السابقة والمجاورة والمختلفة إثنيا ودينيا كاليهود والنصارى والروم والفرس والأحباش والقبط... إلخ

فحضور التجربة الإنسانية في السنة النبوية والسيرة مشهود ودلائله كثيرة ووقائعه عديدة في كل مراحل الدعوة الإسلامية مكيها ومدنيها، وهذا الاستيعاب للخبرة الإنسانية كان دافعا لأخذ النافع منها واطراح غيره، مما جعل الحضارة الإسلامية تستوعب في ثقافتها ومدنيتها الميراث العالمي كله. حيث آوت إليها الأمم الأخرى، وأرزت لها الثقافات المغايرة، فكانت حضارة الإنسان. وهذا على عكس الديانات السابقة التي اتخذت من القطيعة المعرفية والانغلاق العرقي والتجمّد المذهبي مسلكا خاصا بها. وتدور إشكاليتها في قراءة جوانب التواصل أوالقطيعة مع التجارب المدنية والثقافية السابقة لظهور الإسلام، وتحديد مساحات هذا التفاعل من حيث هيمنة الشريعة الإسلامية وخلودها ونسخها لما سبق،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن حيث مرونتها في انتقاء النافع من الخبرات الإنسانية وتواصلها مع كريم الأخلاق وجميل السجايا.

ولاستفصال المقدمات السالفة فإننا سنقسم الورقة إلى الآتي معتمدين النصوص الأصيلة في السنة والسيرة منطلقا لمناقشة الإشكالية:

- الإسلام وميراث العالم القديم.
- السنة والموروث العربي الجاهلي.
- السنة والتجارب المجاورة (الفرس، الرومان).
- السنة وميراث الديانة اليهودية والنصرانية.

أولا: السنة وميراث العالم القديم

لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في أم القرى بشيرا ونذيرا في بداية القرن السابع الميلادي (610م)، كان العالم القديم منقسما على كيانات سياسية كبيرة وصغيرة. أما الكبيرة فهي إمبراطوريات الروم البيزنطية التي تحكم أجزاء أوربا والشام ومصر وشمال إفريقيا[1]. وكذا الإمبراطورية الفارسية الساسانية التي تحكم فارس والعراق واليمن، وأجزاء من آسيا الوسطى[2]. وأما الكيانات الأخرى فهي مجمل دول الصين والهند والحبشة، وباقي المسكونة كان يعيش حياة بدائية قوامها الإقطاعيات والقبائل المتنافرة. والذي يهم موضوعنا هو جزيرة العرب وما أحاط بها من دول ونظم مختلفة.

ففي الجزيرة العربية تناثرت مختلف الكيانات بين دول تابعة لنفوذ الإمبراطوريات الكبرى، ففي العراق دولة المناذرة التابعة لفارس، وفي الشام دولة

1- انظر: ديورانت ول: قصة الحضارة. ترجمة المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ط1، بيروت، دار الجيل، 1998. ج 12ص207/ العريني السيد الباز: تاريخ الدولة البيزنطية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية-د، ت- ص115.

2- قصة الحضارة ج12ص 287.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغساسنة التابعة لبيزنطة، وفي اليمن امتد نفوذ دولة فارس بعد طرد الأحباش منها[3].

وفي وسط كل ذلك كانت القبائل العربية تعيش حالة الفوضى السياسية بعد انهيار دولة كندة وانخرام حلف ربيعة. في حين عاشت مدن مكة ويثرب والطائف استقلالا تاما، أفادت منه مكة بنظام الإيلاف التجاري[4] لتتبوأ مكانة سامقة بين جموع العرب، وخاصة بعدما علا نجمها في هزيمة الأحباش عام الفيل، حيث استطالت على العرب بنفوذها الديني والتجاري.

وإضافة إلى الانسداد السياسي الذي كانت تحياه الإمبراطوريتان القديمتان والتشرذم القبلي الذي عاشته الجزيرة العربية فإن الوضع الديني والثقافي كان صنوا لذلك الواقع من حيث الاحتراب المذهبي والتشتت الفرقي والاختلاف الديني، وليس مجازفة القول بأن القرن السادس الميلادي كان الأسوأ من حيث غياب هدايات الوحي وانحراف البشرية إلى المذاهب الوضعية وشيوع الوثنية[5]، وقد صدق النبي (**عليه الصلاة والسلام**) حينما قال: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"[6] ولفهم علاقة السنة النبوية بالميراث الثقافي للعالم القديم فإنه يجدر بنا أن نمايز بين الأديان المتبوعة

3- انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك(ت نواف الجراح) ط1، بيروت، دار صادر، 2003. ج1 ص253/حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي الاجتماعي. ط15، بيروت، دار الجيل. مصر، دار النهضة. 2001. ج1 ص23.

4- انظر في الإيلاف: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000. ج20 ص139/ ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، (د، ت) ج30 ص558.

5- انظر: أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الندوة العالمية للشباب الإسلامي. 1412. ص55.

6- صحيح مسلم:كتاب الجنة رقم 2865/النسائي:السنن الكبرى رقم 8070/ابن الأثير الجزري: جامع الأصول من أحاديث الرسول. ذ (ت محمد حامد الفقي) ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1980. حديث رقم 9554.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمذاهب الموجودة إبان بعثة النبي (**عليه الصلاة والسلام**) في جزيرة العرب وما جاورها لفهم علاقات الاتصال والانفصال بين السنة وهذا الميراث.

تميزت الجزيرة العربية وجناحاها في الشام والعراق بوجود ما يأتي:

1- الوثنية: الدين الأبرز في الجزيرة العربية، وتسميته دينا هو من قبل التجوز، إذ هو مجموع معتقدات وشعار وطقوس توالدت من رحم الأديان الوثنية القديمة، حيث تجاورت فيه عبادة الكواكب والشمس والقمر والأصنام المنحوتة. إذ عكف العرب على مجموع هذه المعبودات المختلفة كما يدل على ذلك آيات القرآن الواصفة لتلك العبادات المنحرفة: ﴿**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون**﴾[7] فعبادة الشمس كانت سائدة في اليمن أيام حكم مملكة سبأ كما ورد في قصة سليمان عليه السلام وبلقيس[8] في إخبار القرآن عنهم:﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون**﴾[9]

أما المعبود الأهم فهي الأوثان المختلفة التي استقصاها ابن الكلبي في كتابه"الأصنام" والتي كان بعضها مستعادا من العصور القديمة كمعبودات قوم نوح : ﴿**وقالوا لا تذرّن آلهتكم ولا تذرّن ودّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**﴾[10] فعلى الرغم من اندثار قوم نوح وتدميرهم بالطوفان إلا أن العرب لم يستنكفوا عن العودة لآلهتهم، بل والتعبّد

7- سورة فصلت الآية 37.

8- ابن كثير أبو الفداء :تفسير القرءان العظيم، بيروت، دار الجيل، (د ت).ج3 ص 348/تاريخ الطبري ج1 ص116.

9- سورة النمل الآية 24

10- سورة نوح الآية 23.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأسمائهم[11]. كما ظهرت في العرب بعض العبادات الأنثوية المتعلقة بتراث الشام الفينيقية حيث كانت عبادة بعل –الرجل– ﴿ **أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين**﴾[12]،وعبادة اللات –الربة– في مدينة الطائف:﴿ **أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى** ﴾[13] ولهذا شاع نسبة البنات لله من هذه العبادات الطوطمية الموغلة في القديم :﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون**﴾[14]

ومن المعلوم أن عرب مضر ومن جاورهم كانوا في الجملة على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام منذ عُمّر وادي مكة بدعاء إبراهيم عليه السلام :﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾[15]

إلا أن تطاول الزمن وانصرام النبوة من أرض العرب وطول الأمد جعلهم يتأثرون بالديانات المجاورة، فكان التبديل والتغيير الذي أحدثه عمرو بن لحي الخزاعي أيام كانت خزاعة سيدة الحرم، حيث جلب آلهة الشام ونصبها في الحرم وأمر الناس بعبادتها. كما ورد في الحديث:"رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيّب السوائب"[16].

11- السهيلي عبد الرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام الكلبي (ت عمر عبد السلام السلاوي). ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000.ج1 ص212.

12- سورة الصافات الآية 125.

13- سورة النجم الآيات 19-22.

14- سورة الزخرف الآية 19

15- سورة إبراهيم الآية 37.

16- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3520/صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم 2856. وانظر ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري .ط3، الرياض، مكتبة دار السلام، 2000 .ج6 ص670.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن تقديس الحجارة تناسل من ذات تعظيم أرض الحرم عندما كان الناس يأخذون حجارته للتبرك والطواف، ثم خلف الخلف فنسوا الأصل وعكفوا على عبادة كل مستحسن من الحجارة الصماء.

تعددّت الآلهة العربية، فكان لكل قبيلة أو حلف إله يعبد ويزار و تقام حوله المواسم والأسواق والأعراس، فلقريش هبل، ولثقيف اللات، ولأهل يثرب مناة، ولسليم وثن دمار، ولطيئ يغوث، ولهذيل سواع، ولبني كنانة صنمهم سعد، ولكلب صنم ود، ولذي الكلاع باليمن نسر، ولدوس وما جاورها ذو الخلصة الذي كانت حوله كعبة تسمى الكعبة اليمانية، ولخطورته قال النبي (**عليه الصلاة والسلام**) في آخر حياته:"من يريحني من ذي الخلصة". فهدمه جرير بن عبد الله البجلي[17].

وإضافة إلى ما سبق فإن قريشا ابتدعت بعد عام الفيل مذهبا جديدا سمته بدين الحمس وأحدثت فيه تقاليد جديدة في شعائر الحج لتمتاز به عنْ بقية العرب فكانوا :لا يقفون بعرفة ولا يفيضون من المشعر الحرام، ولا يأكلون ما تهديه العرب[18].وهو ما نعته عليهم الآيات في سورة البقرة في قول الله تعالى: ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**﴾[19]

كما أن العرب غرقت في بدع النسك والذبائح والأنعام التي تهلّ لغير الله، وقد وردت آيات عديدات في سورة الأنعام تنعي هذه التقاليد المبتدعة[20]، وفي المائدة في قوله: ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون**﴾[21].

17- صحيح البخاري: كتاب المغازي رقم 4357/صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رقم 2476

18- السهيلي عبد الرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. ج2 ص185.

19- سورة البقرة الآية 199. وانظر الطبري محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق بإشراف عبد الحميد مذكور)، ط1، القاهرة، دار السلام، 2005. أثر رقم 3825 ج2ص1082.

20- انظر: رضا محمد رشيد:تفسير المنار (تفسير القران الحكيم) ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999. ج8 ص105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2–اليهودية: الديانة الثانية السابقة الحضور والقليلة الأتباع في جزيرة العرب، وكان لها وجود في قرى الحجاز الشمالية في وادي القرى وتيماء وفدك، والوسطى في خيبر ويثرب. كما عرفتها اليمن في الجنوب وقد اختلف المؤرخون في دخول اليهودية للجزيرة، والظاهر أن وجودها قديم منذ إسلام أهل سبأ، ولكن الحضور الأقوى كان بعد هدم الرومان لهيكل بيت المقدس أيام تيطس سنة 70م[22].

فانحاز كثير من اليهود إلى الحجاز وعمروا قراه، ودخلوا في تحالفات مع بعض القبائل، وشكلوا قوة اقتصادية مهمة عمادها التجارة والصياغة والزراعة.

امتازت اليهودية بانفتاحها النسبي، مقارنة بانغلاقها التبشيري على مستوى العرق، فقد دخلت جملة من قبائل اليمن بتأثير حبرين يهوديين في قصة إخمادهما للنار في أيام تبع أبي كرب أسعد حيث "أصفقت عند ذلك حمير على دينه، فمن هنالك وعن ذلك أصل اليهودية باليمن."[23]

ساهمت الكتابية اليهودية وعلو الأفق الثقافي المتصل بنبوات بني إسرائيل في صعود نجم اليهود، فتأثر بهم بعض العرب الذين دانوا بدينهم مثل السموأل بن عاديا صاحب الشاعر امرؤ القيس بن حجر الكندي[24].وكان بعض العرب يسترضعون أبناءهم عندهم لما كان عندهم من دونية ثقافية، كما هو الوارد في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي**﴾[25] في أن المرأة تكون مقلاة– أي لا يولد لها– فتنذر إن ولدت ولدا أن تهوّده، فلما كان إجلاء بني النضير، قال الأنصار أبناؤنا، فنزلت الآية[26].

21– سورة المائدة الآية 103. انظر: تفسير التحرير والتنوير ج7 ص72.

22– راجع مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد: اليهود في العالم القديم. ط1، دمشق، دار القلم. بيروت، الدار الشامية، 1995. ص241/ وراجع ديورانت: قصة الحضارة ج12 ص435.

23– الروض الأنف ج1 ص95.

24– محمد علي البجاوي: أيام العرب في الجاهلية. صيدا، المكتبة العصرية. ص121/ ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ، ط6، بيروت. دار الكتاب العربي (د.ت).ج1 ص 308.

25– سورة البقرة الآية 252.

26– تفسير الطبري أثر رقم 5791، ج2ص1494.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحاصل أن الحضور اليهودي كان مشهودا، بل إن من مسببات إسلام الأنصار ما كان يسمعونه من اليهود من خبر نبي أظل زمانه، حيث إنهم كانوا في حروبهم معهم يستفتحون بالنبي (**عليه الصلاة والسلام**) ويقولون: "نبي أظل زمانه. فنتبعه ونقاتلكم معه قتل عاد وإرم."[27]وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**﴾[28].

3– النصرانية: عرفت الجزيرة العربية النصرانية بعد ظهورها، وخاصة أجزاءها الشمالية المجاورة لفلسطين حيث تنصرت قبائل عديدة مثل غسان ولخم وجذام، كما عرفتها بعض قبائل العراق كإياد وتغلب[29]، وانتشرت الأديرة في تلك الربوع، وعرف العرب شعراء نصرانيين كعدي بن زيد العبادي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، كما انتشرت النصرانية بكثرة في الجنوب في نجران كما هو الوارد في قصة المباهلة الواردة في سورة آل عمران، وأخبار العهد الذي كتبه النبي (**عليه الصلاة والسلام**) لنصارى نجران[30].

كما أسهمت دولة الأحباش أيام حكمها لليمن في نشر النصرانية، ويقال أن قصة أصحاب الأخدود إنما وقعت بنجران أيام امتحان الملك ذو نواس اليهودي للنصارى الموحدين[31]، وعرف العرب الأحبار والمبشرين، فقد كان: "القسس والرهبان يردون أسواق العرب، ويعظون ويبشرون، ويذكرون البعث والحساب، والجنة والنار، وقد ورد في القرآن كثير من الآيات تحكي أقوالهم وتفنّد مذاهبهم، مما يدل على انتشار هذه

27– الروض الأنف ج4 ص45.

28– سورة البقرة الآية 89. وانظر الرازي فخر الدين:التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، .1990. ج3ص164.

29– حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي الاجتماعي.ج1 ص63

30– محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت، دار الإرشاد، ص111.

31– تفسير القرطبي ج 19 ص491/تفسير الرازي ج31 ص106/تفسير ابن كثير ج4 ص494495-/ الروض الأنف، ج 1 ص107–108 /تاريخ الطبري ج1 ص 260.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعاليم بينهم"[32].

كما أن كتب السيرة تحفل بذكر أفراد نصارى في الحجاز مثل ورقة بن نوفل الذي ورد ذكره في أول المبعث: وكان امرؤ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب"[33]

وكذلك الغلام جبر النصراني الذي اتهمت به قريشا النبي بأنه يتعلم منه[34]، كما ورد في تفسير: ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**﴾[35]

كما ورد اسم الغلام عداس أصيل نينوى بالعراق، والذي عطف على النبي يوم آذاه سفهاء الطائف،[36] فلما أخبره عن بلده؟ قال(**عليه الصلاة والسلام**) : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.[37]

يذكر الإخباريون اسما نصرانيا شهيرا هو أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي تنصّر وترهّب ولبس المسوح، وكان تاجرا يلج الشام: فيتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى، وقرأ الكتب، وقد علم أن نبيا سيبعث من العرب، وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السماوات والأرض والقمر والملائكة وذكر الأنبياء والبعث والنشور والجنة والنار، ويعظم الله عز وجل ويوحده. ولما بلغه ظهور النبي (**عليه الصلاة والسلام**) اغتاظ

32- انظر أحمد أمين: فجر الإسلام. بيروت، دار الكتاب العربي، د، ت. ص27.

33- صحيح البخاري: كتاب بدأ الوحي رقم 3/ صحيح مسلم: كتاب الإيمان رقم 160/ الروض الأنف ج2 ص264. ونظر ابن كثير أبو الفدا الدمشقي: البداية والنهاية، ط6، بيروت، دار المعارف، 1986. ج3ص8.

34- انظر تفسير القرطبي ج10 ص117/ تفسير ابن كثير ج2 ص567.

35- سورة النحل الآية 103.

36- صحيح مسلم:كتاب الجهاد والسير رقم 1795/ صحيح البخاري: كتاب بدأ الخلق رقم 3231.

37- الروض الأنف ج4 ص29

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك وتأسف، وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد."[38].وقال فيه النبي (**عليه الصلاة والسلام**) بعدما سمع شعره وكان يستنشده رواته: "كاد أن يسلم"[39]

وذكر بعض المفسرين أنه المقصود بقوله تعالى: ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** ﴾[40] إذ روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أنها نزلت في أمية، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله أرسل رسولا في ذلك الوقت، وتمنى أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله محمدا(**عليه الصلاة والسلام**) صده وكفر به"[41]

والشاهد من هذه الإشارات الحضور الأكيد للنصرانية في الجزيرة العربية، وسوف يكون لهذا الحضور دوره السلبي في إثارة الحروب ضد الدعوة الإسلامية من قبائل الشام وحلفاء الرومان في غزوات مؤتة (8هـ) وتبوك (9هـ)[42].

4– المجوسية: الديانة الأقل انتشارا بين العرب بسبب انتساب فارس لها، وكان بينهم وبين العرب إحن ومحن عديدة في العراق آخرها موقعة "ذي قار " بعد إذلال مناذرة الحيرة وملكهم النعمان بن المنذر[43].

كما أنها لم تستغو العرب كثيرا بسبب ما في تشريعاتها الاجتماعية من نكارة لا ترضاها أخلاق العرب كزواج المحارم، ولكن هذا لم يمنع من وجود بطون عربية تمجست في شرق الجزيرة العربية في البحرين، وقد ثبت أن النبي **عليه الصلاة والسلام** عندما ظهر

38– المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر (ت محمد سعيد اللحام)، ط1، بيروت، دار الفكر، 2000. ج1 ص81.

39– صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار رقم 3841/ وانظر البداية والنهاية ج2 ص205.

40– سورة الأعراف الآية 175

41– تفسير القرطبي ج7 ص203.

42– انظر فاروق حمادة: العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي. ط1، دمشق، دار القلم، 2005.ص201.

43– ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ. ج1 ص285/ البجاوي: أيام العرب ص6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخذ الجزية من مجوس هجر[44].

كما عرف العرب بعض تقاليد المجوسية في تقديس النار، حيث ورد في أخبار خالد بن سنان العبسي- المختلف في نبوءته- أنه أطفأ نارا خرجت بالحجاز وكادت تفتن العرب[45].

وورد أن بعض ملوك العرب الذين عملوا للأكاسرة تمجسوا، بل ودانوا ببعض المذاهب المرذولة كالمزدكية التي تنادي بإباحة المحارم وإشاعة المال[46]، ومنهم حجر بن آكل المرار ملك كندة الذي كان ظهيرا لكسرى قباذ المزدكي[47]، وظهر أثر ذلك في بعض الأشعار الإباحية لابنه الشاعر امرؤ القيس. كما أن الآداب الفارسية كانت حاضرة في الثقافة المتداولة حيث يحكي الإخباريون أن النضر بن الحارث كان قد علم علوم الفرس وأخبارهم، فإذا انصرف النبي (**عليه الصلاة والسلام**) من مجلسه في مكة جلس محله. وحدّث بأحاديث رستم واسفنديار. ويقول: ما محمد بأحسن حديثا مني، إنما حديثه أساطير الأولين[48]. وذكر بعض المفسرين[49] أنه المقصود بقوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾[50].

5- **الحنفاء:** الحنفاء وهم مجموعة من العرب أنكروا العبادات والعادات الجاهلية، واحتك بعضهم بالموروث النصراني واليهودي، وانتسب بعضهم إلى هذه الديانات، وفيهم

44- البخاري: كتاب الجزية والموادعة رقم 3157/ سنن أبي داوود:كتاب الخراج والإمارة والفيء 3043.

45- البداية والنهاية ج2 ص271/ ابن حجر: الإصابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي د-ت. ج2 ص154.

46- انظر الشهرستاني: الملل والنحل (ت محمد سيد الكيلاني)، بيروت، دار المعرفة، (د، ت) ج1 ص249.

47- تاريخ الطبري ج1 ص249/الكامل في التاريخ ج1 ص241.

48- الروض الأنف ج3 ص69.

49- تفسير القرطبي ج6 ص260/ تفسير التحرير والتنوير ج7 ص179

50-سورة الأنعام الآية 25

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من فضّل الوقوف على الحياد، أوالترقّب لمبعث النبي الخاتم حسب ما كان متداولا في الأوساط الدينية، ومنهم خالد بن سنان العبسي، وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل عمّ عمر بن الخطاب ووالد سعيد بن زيد أحد المبشرين بالجنة رضي الله عنهما، وكان شاعرا جال في أنحاء الشام والعراق باحثا في الديانات المتبوعة، وانتهى به الحال إلى استنكار عبادات وعادات قريش[51]، ممّا دفعها إلى عزله ونفيه عن المجموع القرشي. ومنهم عبيدالله بن جحش من بني أسد من قريش، وكان من جملة المتبرئين من الأعراف الوثنية، وقد خرج من مكة باحثا عن الحقيقة الدينية، وانتهى به الأمر إلى الوقوف على الحياد، أو الالتباس حتى جاءت البعثة الإسلامية، فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة، ثم ارتد إلى النصرانية[52].

إضافة إلى هذه الظواهر الثقافية والوثنية التي عرفتها الجزيرة العربية والخبرات الإنسانية المتعلقة بالمعرفة وعلوم الفلك والتنجيم والطب والحساب والفلسفة المختلفة المذاهب التي كانت تمور بها حواضر العالم القديم وخاصة موروثات الفلسفة الإغريقية الهيلينية، والفرق المسيحية المتحاربة (اليعاقبة والنساطرة والملكانية.) والمذاهب المجوسية الحديثة(المزدكية، المانوية، والمرقونية) عرفت الجزيرة بعض المذاهب المحدثة كالدهرية المقتبسة من فارس، حيث كان فيهم إنكار شديد للبعث، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**﴾[53]، وذكر الإخباريون أنَّ أهل مكة ومنهم أبا سفيان أخذوا هذا القول في الجاهلية عن أهل الحيرة[54].كما تواجدت الصابئة في العراق وهم عبّاد الكواكب والروحانيات.وقد كان النبي وأصحابه يُعيّرون بأنهم صابئون، أو صبئوا عن دين أقوامهم[55]. هذا إضافة إلى

51- صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل. رقم 3827.

52- انظر البداية والنهاية ج 2 ص 238/ السهيلي: الروض الأنف ج2 ص 230.

53- سورة الجاثية الآية 24.

54- انظر علي سامي النشار: نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، ط8، مصر، دار المعارف، د-ت.ج1 ص198.

55- صحيح البخاري :كتاب المناقب 3522/ صحيح مسلم: كتاب الفضائل 2474.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظواهر السحر والكهانة والعرافة التي اشتهرت بها بعض قبائل العرب. والسحر الذي برع فيه اليهود ومارسوه، وقد وردت أخباره في قصة سحر لبيد بن الأعصم للنبي (**عليه الصلاة والسلام**)[56].

والخلاصة أن العالم القديم الذي بعث فيه النبي (**عليه الصلاة والسلام**) لم يكن خلوا من الأفكار والمذاهب والنحل والملل والطوائف، وهذا ما جعل الخصومة شديدة من المخالفين، حتى من قريش الأميين فكان لتجارتهم واحتكاكهم بالثقافات المجاورة دافعا لإنكار الدعوة الجديدة، وكانوا أهل لجاج وحجاج في الخصومة كما قال تعالى: ﴿**بل هم قوم خصمون** ﴾[57]

فكيف بنى الإسلام علائقه الثقافية بالموروث السالف الذكر، فهل مارس القطيعة الكلية، أم الانتقاء الإيجابي الموصول برسالات السماء وهدي الأنبياء؟

ثانيا: السنة النبوية والموروث العربي الجاهلي.

يطلق مصطلح الجاهلية على الفترة التاريخية السابقة لظهور الإسلام وهي توازي التاريخ العربي المروي شعرا ونثرا وقصصا وأياما منذ انصرام عهد إسماعيل عليه السلام، وإن كان المروي الموثّق لا يزيد على مدة قرنين[58].

وردت الجاهلية في القرآن الكريم في مواضع أربعة متعلقة بتوصيف الحياة العربية الحضرية والبدوية في قوله تعالى: ﴿ **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية**﴾[59]، **وقوله:** ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**﴾[60]، **وقوله:** ﴿**ولا**

56- صحيح البخاري: كتاب الطب رقم 5763/ صحيح مسلم: كتاب السلام الطب 2189

57- سورة الزخرف الآية 58.

58- انظر مصطفى الرافعي: تاريخ آداب العرب. ط5، بيروت، دار الكتاب العربي، 1999. ج1ص52

59- سورة آل عمران الآية 154.

60- سورة المائدة الآية 50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبرجنّ تبرج الجاهلية الأولى﴾[61]، وقوله تعالى: ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾[62]

وجاء في السنة الشريفة ما يحمل على ذم سلبيات الجاهلية مثل الاعتزاز بالعرق واللون، ومن ذلك ما قاله النبي (**عليه الصلاة والسلام**) لأبي ذر الغفاري عندما عيّر رجلا بقوله : يا ابن السوداء. قال: "إنك امرؤ فيك جاهلية"[63].

وجاء في خطبته (**عليه الصلاة والسلام**) في فتح مكة قوله : إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتعظمّها بالآباء، الناس من آدم، وآدم خلق من تراب، وفي رواية: كلكم لآدم وحواء طف الصاع بالصاع إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وفي خطبة حجة الوداع: "إن ربا الجاهلية موضوع..... وإن دماء الجاهلية موضوعة.... إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية."[64]

حمل لفظ الجاهلية المداليل السلبية التي كان يحياها العرب قبل الإسلام من حياة الفوضى والانقسام وأكل القوي للضعيف، وشيوع الربا والزنا، والإغارة والسلب وسائر الأخلاق المذمومة، والعبادات المرذولة للأوثان، إلا أن أهم المداليل التي حملت النصيب الأوفر من الذم هي ما تعلق بالعبادات الوثنية، وما اندرج تحتها من طقوس وشعائر في النسك والذبائح، وقتل الأولاد خشية الفقر، والعكوف على الأنصاب والأزلام.

ومن ذلك النكير الذي ورد عن النبي (**عليه الصلاة والسلام**): أعظم الذنوب:" أن تجعل لله ندا وقد خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، ثم قال: أن تزاني حليلة جارك"[65].

61- سورة الأحزاب الآية 33.

62- سورة الفتح الآية 26.

63- صحيح البخاري: كتاب الإيمان رقم30/ صحيح مسلم: كتاب الأيمان والنذور 1661.

64- سنن أبي داوود: كتاب البيوع3334 /سنن ابن ماجة: كتاب المناسك 3055.

65- البخاري :كتاب التفسير 4477/ مسلم:كتاب الإيمان 37/سنن الترمذي:كتاب التفسير 3139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذا حديث السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"[66].

ومن المداليل السلبية التي قاطعها الإسلام وشنّعت عليها السنة مسألة الانقسام والتشرذم، وانحلال الطاعة، وغياب القانون واستمراء حياة البدو والغزو. ولأجل هذا أوجبت السنة الهجرة إلى المدينة، بل إنها جعلت مسألة الحقوق المتوجبة على الدولة تجاه المسلم لا تستحق إلا بالهجرة إلى دار المسلمين لتكثير سوادهم وتجنب ويلات الحروب مع المشركين وذلك في مثل قول النبي **(عليه الصلاة والسلام)** :"أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قيل يا رسول الله لا تتراءى نارهما؟ قال:لا تتراءى نارهما"[67]. وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿**والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**﴾[68] بل وإنه وفي سبيل تحضير الأمة الجديدة غيّر النبي**(عليه الصلاة والسلام)** اسم يثرب إلى اسم المدينة الدال على معنى الحضارة والاجتماع، وجعل عقاب من يستعيد الاسم القديم الدال على الحرب والفقر والترب أن يقول المدينة عشر مرات كفارة على خطئه، وذلك في حديث النبي**(عليه الصلاة والسلام)**:"من قال للمدينة يثرب فكفارته أن يقول المدينة عشر مرات"[69]. وهذا الأمر بالتكرير لترسيخ الاسم الجديد ونسيان القديم.

حملت أحاديث عديدة على حياة التبدّي والتفلّت من الأعراف، وفي ذلك ورد قوله **(عليه الصلاة والسلام)** في حديث ابن مسعود " الإيمان ههنا – وأشار بيده إلى اليمن–

66- صحيح البخاري: كتاب الوصايا 2766/ مسلم: كتاب الإيمان 38/ سنن أبي داوود:كتاب الوصايا 2874.

67- سنن أبي داوود:كتاب الجهاد رقم 2645/سنن الترمذي: كتاب السير رقم 1604.

68- سورة الأنفال الآية 72.

69- المتقي الهندي: كنز العمال رقم 34943.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر"[70]. وربيعة ومضر هما عصب قبائل البدو في نجد وتهامة والحجاز.

لقد حملت السنة حملة انفصال وقطيعة شديدة مع موروثات الوثنية المنافية لكرامة الإنسان الذي يحط من إنسانيته بعبادته مخلوقات مثله، كما رفضت في الشق السياسي حياة الفوضى والتبدي الملازمة للفردية المعاكسة للاجتماع الذي هو شرط بناء الحضارة واكتمال العمران، وهو ما حاول النبي (**عليه الصلاة والسلام**) جاهدا قدره تقويمه بإيجاب الهجرة والتعليم ودفع الزكاة علامة على طاعة الدولة، والخروج للجهاد المشروع علامة على الانقياد للقيادة، كما في الآيات في سورة الفتح: ﴿ **سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**﴾[71] ولكن هذه الجهود الحثيثة لتقويم مسالك البدو سرعان ما تشتّت بمجرد وفاة النبي (**عليه الصلاة والسلام**) ولما يستقم حال الأعراب الذين وصفهم القرآن في سورة الحجرات وهي من أواخر ما نزل في العام التاسع للهجرة أي عام الوفود بقوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[72]، ولأجل هذا فإنه بمجرد تسامع العرب بمرض ثم وفاة النبي (**عليه الصلاة والسلام**) حتى ارتد أكثرهم بين متابع لأنبياء كذبة، أو مانع لدفع الزكاة، أو رافض طاعة الخليفة، ولم يثبت على الإسلام إلا أهل الحواضر الثلاث مكة والمدينة والطائف. رغم أن ثقيف سكان الطائف كانوا أخر الناس إسلاما[73]. وهو ما يدل على قيمة المدنيّة والعمران التي جاءت السنة تدعو إليها بالقول والفعل والعقوبة. فهو الانفصال عن التجربة الإنسانية الجاهلية في الحكم والاجتماع.

70- صحيح البخاري: كتاب المغازي رقم 4387/ صحيح مسلم: كتاب الإيمان رقم 51.

71- سورة الفتح الآية 11.

72- سورة الحجرات الآية 14.

73- الروض الأنف ج7 ص413./ ابن القيم: زاد المعاد، ط1، مصر، دار ابن الهيثم، 2005 ج2 ص150.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هدفت السنة النبوية إلى تغيير نمط الحياة الجاهلية الذي قعد بالعرب عن الدخول في مصاف الحضارة، فأسست مفاهيم أخرى وأحلت مصطلحات بديلة للمتداول الجاهلي. فأوجدت مفهوم الأمة بدل القبيلة، ومفهوم الجهاد المشروع بدل الغزو والسلب، ومفهوم الشريعة بدل العرف القبلي، ومفهوم الطاعة المتبصّرة بدل المرجعية العشائرية، ومفهوم المساواة بدل التراتب الاجتماعي الجاهلي.

تعاملت السنة النبوية مع الموروث الجاهلي والخبرة العربية بحسب موقعها من كليات الإسلام وقيم الدين، فاستعادت الجميل وثمنته وكثرته، وطرحت الخبيث وحاربته ومحته.

ويمكننا أن نمايز بين معاني الانفصال والاتصال في هذا المضمار من حيث تفصيل الآتي:

فمن حيث الانفصال حملت السنة النبوية حملة شعواء على دعاوي العنصرية العرقية التي أذهبت ريح العرب وجعلتهم قبائل متنافرة وعشائر متناحرة كما هو المذكور في كتب أيام العرب.

ومن ذلك اعتبار هذه الدعاوي جاهلية، كما ورد في غزوة بني المصطلق عندما كسع رجل من المهاجرين أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار؟ وقال المهاجري: يا للمهاجرين؟ فخرج النبي (**عليه الصلاة والسلام**) فقال:فما بال دعوى الجاهلية، ثم قال:ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري للأنصاري. قال: فقال النبي (**عليه الصلاة والسلام**): دعوها فإنها خبيثة"[74]

ولتبديد العصبية القبلية المنابذة للولاء الديني حرمت السنة كل أسبابها القريبة والبعيدة، ومن ذلك النهي عن خلاها، كقول النبي(**عليه الصلاة والسلام**) في تحريم التفاخر بمآثر الآباء من حديث ابن مسعود:"ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[75]

74- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3518/ صحيح مسلم: كتاب البر والصلة رقم 2584.

75- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3519/ صحيح مسلم: كتاب الإيمان رقم 103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن السنة لم تقطع العلائق كلية مع المنظومة القبلية باعتبارها نسيجا اجتماعيا ضروريا لتسيير حياة الناس في تلك الفترة. ولهذا لم يمح النبي (**عليه الصلاة والسلام**) الانتساب للقبيلة بدليل قوله في الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة آنذاك على التناصر والعاقلة في الديات:"ليس من رجل ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كَفر، ومن ادّعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار"[76]

وبضميمة أخرى متعلقة بالثناء على تجمعات قبلية اتخذت من القبيلة وحدة اجتماعية لنصرة الحق وحرب الباطل، كما ما جاء في حق قبائل غفار، وأسلم، وأشجع، ومزنية. كما ورد في حديث أبي هريرة : "قريش والأنصار وجهينة ومزنية وأسلم وغفار وأشجع موالي، ليس لهم موالى دون الله ورسوله"[77].وقول النبي من حديث أبي هريرة: "أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها"[78]

إضافة إلى ذلك قدَّم النبي (**عليه الصلاة والسلام**) بديله الأفضل في جعل الولاء للإيمان مقدما على القبيلة عندما أطلق على مجموع القرشيين اسم المهاجرين، وعلى مجموع قبائل الأوس والخزرج اسم الأنصار الذين استحقوا به رضوان الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**﴾[79]

كما أنه (**عليه الصلاة والسلام**) لم يُلغ محاسن الأعيان الجاهليين الذين سحبوا مكرماتهم من الجاهلية إلى الإسلام، وفي ذلك ورد حديث: "تجدون الناس معادن، خيارهم

76- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3508/ صحيح مسلم: كتاب الإيمان رقم 61.

77- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3512/ صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رقم 2520.

78- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3514/ صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رقم 2514.

79- سورة التوبة الآية 100.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية."[80]

لم تمنع السنة النبوية من التواصل مع الخلال الحميدة، فللعرب مكارم وأخلاق رفيعة كالجوار والضيافة والنصرة ما ضُربت به الأمثال وسارت به الركبان، وفي ذلك نقرأ أحاديث عديدة كقوله (**عليه الصلاة والسلام**) : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [81]ولأجل هذا وجدنا كمّا هائلا من الأحاديث المتواصلة مع الموروث العربي الذي بعث فيه الإسلام، ومن ذلك ما يأتي:

أ- الإعلاء من البلاغة العربية الحاوية للحكمة والشعر الحسن. ومن ذلك حث النبي (**عليه الصلاة والسلام**) أصحابه على قول الشعر وتدارس أيام العرب، فقد كان يسمُر مع أصحابه ويخوضون في أحاديث الجاهلية وأيامها. ومن أدل الأحاديث الواردة في ذلك حديث "أم زرع" الطويل في سمر النبي مع زوجاته[82]. وعندما سمع النبي خطيب بني تميم في عام الوفود قال: " إن من البيان لسحرا"[83].

ب- تعظيم شعائر الحج والعمرة وتأمين مسالكهما، وبسبب ذلك وقّع النبي (**عليه الصلاة والسلام**) صلح الحديبية وقال: "والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها"[84].

ج- تعظيم مسألة الجوار والحماية التي كانت العرب تهدف نحورها دونهما، وهو ما أكده القرآن في قوله تعالى: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون**﴾[85]

80- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3493/ صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رقم 2526

81- مسند أحمد (أبو هريرة) رقم 5217/ البيهقي: السنن الكبرى: رقم 21301.

82- صحيح البخاري: كتاب النكاح رقم 5189/ صحيح مسلم: كتاب الفضائل رقم 2448.

83- صحيح البخاري: كتاب النكاح رقم 5146/ سنن أبي داوود: كتاب الأدب رقم 5012.

84 - صحيح البخاري: كتاب الشروط رقم 2731/ الروض الأنف ج7 ص56/ زاد المعاد ج2ص56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد فتح النبي (**عليه الصلاة والسلام**) مسألة الجوار لعموم المسلمين رجالهم وإناثهم، في قوله لأم هانئ بنت أبي طالب عام فتح مكة، وقد أمّنت مشركين:"قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"[86].وقوله (**عليه الصلاة والسلام**): "المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم"[87].

د- الإفادة من الطب العربي الموروث الطبيعي والروحي الخاليين من الشرك، فقد أمر النبي (**عليه الصلاة والسلام**)الشفا بنت عبد الله العدوية وكانت ترقي في الجاهلية من النملة، فأمرها أن تعلم رقية النملة لأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها[88]. في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال:كنا نرقي في الجاهلية. فقلنا يا رسول الله،كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليَّ رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك"[89].

هـ-الإفادة من التجربة العربية في قضايا الزراعة والرعي، والاهتمام بتنمية الثروة الحيوانية من إبل وغنم، وتحصيل الأمن الغذائي كما في حديث تأبير النخل[90].

و- الإفادة من بعض التشريعات الموروثة في القصاص والدماء كما ورد في أحاديث القسامة[91]، والعاقلة عندما يقتل مقتول ولا يعرف قاتله، فيحلف المتهمون ويدفعون ديته.

وعليه فلم تكن السنة النبوية لتردم الخبرات الإنسانية الصالحة لدى العرب في جاهليتهم. وإنما كانت تقيم المعوج، وتستعيد الجميل، وتمحق السيئ البيِّن الضرر.

ثالثا: السنة النبوية والتجارب المجاورة (الفرس، الرومان)

85- سورة التوبة الآية 6.

86- صحيح البخاري :كتاب الجزية والموادعة رقم 3171/ صحيح مسلم: كتاب الحيض رقم 336.

87- سنن أبي داوود: كتاب الجهاد 2751/سنن ابن ماجة:كتاب الديات 2683/مسنند أحمد رقم 6692.

88- سنن أبي داوود: كتاب الطب رقم 3887/مسند أحمد 26493.

89- صحيح مسلم: كتاب السلام الطب رقم 2200/ سنن أبي داوود: كتاب الطب رقم 3886.

90- صحيح مسلم: كتاب الفضائل رقم 2363/مسند أحمد (عائشة) رقم9682.

91- صحيح مسلم: كتاب القسامة رقم 1668/ صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3845.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولدت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة مستقلة عن التأثيرات السياسية التي خضعت لها دول العرب القديمة، والتي رضخ أغلبها لنفوذ الإمبراطوريين القديمين كدول كندة والمناذرة والغساسنة. ولأجل السوالف الماضية من تأثير الدولتين في الجزيرة العربية ومحاولات التسلل والتدخل فيها في تجارب سابقة كاحتلال الفرس لليمن وطرد الأحباش منها. أو محاولة الروم النَّفاذ للجزيرة بتحريك حلفائهم في الحبشة لغزو مكة كما حصل عام الفيل[92]، وضع النبي (**عليه الصلاة والسلام**) الحراك القائم والاحتراب الدائم بين الدولتين نصب عينيه دائما. وكان تعامله مع الدولتين ومع ميراثهما الإنساني والعلمي فريدا من حيث الإفادة من تناقضات الأوضاع بينهما لبسط هيمنة الدولة الإسلامية على باقي الجزيرة العربية، ومن حيث الاستفادة من الخبرات الإنسانية التي تعين الدولة الوليدة في حركتها الحضارية، ولفهم هذه المعادلات وشرح تلك العلائق المتصلة أو القطيعة المنفصلة في التعامل مع التجارب الإنسانية، فإننا سنعرض إلى الآتي:

أ– دولة وحضارة فارس: حضارة عريقة يزيد عمرها عن ألفي سنة، عرفت مختلف الأنظمة الحاكمة من الميديين حتى الساسانيين[93]. وعرفوا ديانات عديدة أهمها المجوسية الزرادشتية[94]. وصفهم صاعد الأندلسي بقوله: "أهل العز الشامخ والشرف الباذخ، أوسط الأهم دارا، وأشرفها إقليما، وأسوسها ملوكا، ولا نعلم أمة غيرهم دام لها الملك، وكانت لهم ملوك تجمعهم ورؤوس تحامي عنهم من ناوأهم، وتغالب بهم من عاداهم، وتدفع ظالمهم عن

92– تاريخ ابن خلدون، ط، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992. ج2 ص71/تاريخ الطبري ج1 ص253.

93– انظر: البيروني:ا لآثار الباقية من القرون الخالية. بيروت، دار صادر. د، ت ص135/مروج الذهب ج1 ص256/تاريخ الطبري ج1 ص228/قصة الحضارة ج2 ص415.

94 – الشهرستاني: الملل والنحل. ج1 ص236.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مظلومهم، ويحملهم من الأمور على فيه حظهم وعلى اتصال ودوام وأحسن القيام وانتظام يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم وغابرهم عن سالفهم."[95]

لقد تفاعل النبي مع الوضع القائم لفارس التي كانت القوة الأولى في العالم بعدما كسرت جيوش الرومان بما ورد في القرآن الكريم من حكاية هذا الانقلاب في موازين القوى لصالح المجوس ضد أهل الكتاب الروم، في ما جاء في سورة الروم: ﴿**ألم غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غَلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يُخلف الله وعده ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**﴾[96]

وقد جاء في الآثار أن مشركي قريش فرحوا بانتصار الفرس على الروم سنة (615م)، وحزن المسلمون، وقام أبو بكر الصديق بمراهنة أمية بن خلف على انتصار الروم تاليا، وفاز في الرهان بعدما انتصر الروم ثانيا. ويقال إن النصر كان في أيام صلح الحديبية، فكانت الفرحة فرحتين[97].

وفي العهد المدني استشرف النبي (**عليه الصلاة والسلام**) فتح فارس لصحابته، فجاءت أحاديث كثيرة في هذا المجال منها قوله (**عليه الصلاة والسلام**) من حديث جابر بن عبد الله: "عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى أو آل كسرى."[98]

95- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم (ت حياة العيد بوعلوان) ط1، بيروت، دار الطليعة، 1985. ص59-60.

96- سورة الروم الآيات 1-7.

97- تفسير القرطبي ج14 ص4/ تفسير التحرير والتنوير ج21 ص145/سنن الترمذي: كتاب التفسير رقم 3204.

98- صحيح مسلم: كتاب الإمارة رقم 1822.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما وفد إليه عدي بن حاتم الطائي وكان نصرانيا، وجاء مترددا للدخول في الإسلام، فسأله النبي (**عليه الصلاة والسلام**) فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أُنبئت عنها.قال: فإن طالت بك حياة لترين الضعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله. .فقلت في نفسي: فأين دعَّار طيىء الذين قد سعَّروا البلاد؟، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز..."[99]

وجاء في حديث أبي هريرة نفس الاستشراف المؤذن بذهاب ملك الأكاسرة:" إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله."[100]

إن هذا الاستشراف الذي تحققت علائمه من مقدمات سلبية لنظام الحكم السائد في بلاد فارس والذي انتقدته السنة النبوية من حيث قيامه على العسف والجبروت، وتمليك غير ذوي الرأي والقوة.

فقد جاء في السنة النبوية ما ينعي على تحكّم الأكاسرة في رقاب العباد وأديانهم، إذ كان الناس على دين ملوكهم، فعندما أرسل النبي (**عليه الصلاة والسلام**) إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام فجاء في الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحقّ القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت، فإن

99- صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم 3595.

100- صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير رقم 3027/ صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم 2918.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إثم المجوس عليك." فلما قرأه مزقه، وقال: يكتب إلى هذا وهو عبدي"[101].وكانت النتيجة أن النبي (**عليه الصلاة والسلام**) دعا عليهم أن يمزّقوا كل ممزق[102].

كما ورد في السنة النكير على تجربة الحكم في فارس بعدما قتل كسرى أبرويز – بعد دعاء النبي عليه– فتشتّت أمر الدولة، حيث تولت الحكم امرأة هي بوران، فبلغ الخبر النبي (**عليه الصلاة والسلام**) فقال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[103]

كانت هذه الأحاديث انتقادا للتجربة السياسية الفارسية التي ستتهاوى أمام جيوش المسلمين لاختلاف الموازين الاجتماعية التي جعلت الدولة الظالمة تنهزم أمام طلائع الحق التي عبّر عن أخلاقها ربعي بن عامر التميمي أمام رستم الفارسي قبيل القادسية بقوله: "الله بعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام."[104]

لم تكن القطيعة التي أحدثتها السنة النبوية والسيرة الرشيدة للنبي (**عليه الصلاة والسلام**) مع التجربة الإنسانية للنظام الفارسي لتمنع من التواصل معه في خبراته الحربية والاجتماعية، فقد كانت الحكمة الإنسانية تجد متابها في دولة المدينة التي جمعت محاسن العرب وحكمة الفرس ونظام الروم.

يطبق الإخباريون على أن المرجع في النصر الذي تحقق في غزوة الخندق عام خمس للهجرة عندما حوصرت المدينة المنورة من جموع الأحزاب التي تزيد على عشرة آلاف مقاتل يظاهرهم يهود بني قريظة[105]، إنما كان لفكرة فارسية حربية استعادها الصحابي سلمان

101– انظر تاريخ الطبري ج2 ص439.

102– صحيح البخاري :كتاب المغازي رقم 4424.

103– صحيح البخاري :كتاب الفتن رقم 7099.

104– تاريخ الطبري ج2 ص626.

105– صحيح البخاري: كتاب المغازي الباب 30/ الروض الأنف ج6ص195/ زاد المعاد ج2 ص48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفارسي[106]، وهي فكرة الخنادق التي لم تعرفها الحروب العربية الجاهلية، فقد حفر المسلمون خندقا طويلا بين جبلين وقاهم هجوم الأحزاب، وجعل حصارهم يتبدّد حتى أذن الله بانجلاء الغمة بإرسال ريح شتّت شملهم كما في قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا**﴾[107]

ومن الأفكار الحربية التي استفادت منها الدولة الإسلامية فكرة الاستعراض السائدة في بلاد فارس لمزيد إرهاب الأعداء، ولم تكن تلك عادة العرب في حروبهم، فقد ورد أن النبي (**عليه الصلاة والسلام**) أمر عمه العباس قبيل فتح مكة أن يحبس أبا سفيان بن حرب ليستعرض أمامه الجيش المسلم، ففي سيرة ابن هشام: ومرت القبائل على راياتها،كلما مرت قبيلة قال :يا عباس من هذه؟ فأقول سليم، فيقول مالي ولسليم....حتى نفدت القبائل.ما تمر قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته عنهم قال :مالي ولبني فلان،حتى مر رسول الله قي كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق. فقال: يا سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟قلت:هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما. قلت: إنها النبوة. وكان لهذا الاستعراض العسكري دوره في دفع أبي سفيان للإرجاف بأهل مكة وثنيهم عن القتال ودفعهم إلى الاستسلام[108].

106- ابن الأثير عزالدين: أسد الغابة في معرفة الصحابة (ت خالد طرطوشي) ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 2006. رقم 2151 ج2 ص309/ ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، القاهرة، مكتبة مصر (د، ت)، ج2 ص82.

107- سورة الأحزاب الآيات 9-11.

108- الروض الأنف ج7 ص212/البداية والنهاية ج4 ص290.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما شهدنا التواصل مع التجربة والخبرة الطبية الفارسية في إشادة النبي (**عليه الصلاة والسلام**) بطب الحارث بن كلدة الذي كان من ثقيف من أهل الطائف،: "ورحل إلى أرض فارس وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل نيسابور وغيرها في الجاهلية قبل الإسلام، وجاد في هذه الصناعة: وطب بأرض فارس وعالج وشهد أهل فارس ممن رآه بعلمه، واشتهر طبه بين العرب وكان رسول الله يأمر من كانت به علة أن يأتيه فيسأله عن علته."[109]، وشاهد القول السابق ما ورد في سنن أبي داوود أن سعد بن أبي وقاص لما عاده النبي في مرضه قال:"إنك رجل مفؤود. ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبّب.."[110].

والشاهد في بعض هذا أن السنة النبوية تواصلت مع التجربة الإنسانية الفارسية وأقامت القطيعة التامة مع تجربتها السياسية القائمة على الاستبداد والجبروت والتراتب الاجتماعي الطبقي الذي لا تبقى معه رحم ولا رحمة ولا مرحمة.

ب– دولة وحضارة الروم:

وهم القوة العالمية الواسعة الأراضي، والتي كانت تحكم أجزاء من أوربا الشرقية والشام والأناضول ومصر وشمال إفريقيا، وذلك بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية عاصمتها القسطنطينية، وغربية عاصمتها روما[111].

امتاز الرومان بقوتهم العسكرية وقدراتهم التنظيمية فهم: "أمة ضخمة المملكة فخمة الملوك"[112] حكمت العالم القديم قرابة الألف سنة، وانتقلت من الوثنية إلى النصرانية. إلا

109– أحمد أمين:فجر الإسلام– نقلا عن القفطي في أخبار الحكماء– ص139.

110– سنن أبي داوود:كتاب الطب رقم 3877/جامع الأصول رقم 5641.

111– العريني السيد الباز: تاريخ الدولة البيزنطية. ص112 /مروج الذهب ج1 ص330.

112– صاعد الأندلسي:طبقات الأمم ص96. وانظر تاريخ ابن خلدون ج2 ص249/البيروني: الآثار الباقية ص93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنها انشغلت بالخلافات الدينية بين الفرق المسيحية المتناحرة اليعاقبة والملكانية والنساطرة والأريوسيين والموحدين[113].

عندما بعث النبي وسار بالدعوة قدما وتعرض للأذى والاضطهاد دفع بعض الصحابة للهجرة إلى مملكة الحبشة النصرانية[114]، مما جعلهم يتعرفون على أنماط حضارية مغايرة للواقع الجاهلي.

ونظرا لعالمية الدعوة الإسلامية فإن أعناق الصحابة اشرأبت للعالم المسيحي، حيث انشغل الصحابة بمسألة الصراع الدائر بين الفرس والروم كما سلف في ذكر أسباب نزول سورة الروم[115].

وأيضا فإن النبي (**عليه الصلاة والسلام**) استشرف لصحابته مسألة العلاقة مع دولة الرومان في عديد الأحاديث الصحيحة، ومنها حديث نافع بن عتبة: "تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله لكم، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله."[116]

وكذلك حديث: "لتفتحن القسطنطينية فلنعم لأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشها."[117]

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون

113- انظر توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الديني بين الإسلام والمسيحية. القاهرة، الكتاب العربي، 1947. ص41.

114- انظر: الروض الأنف ج3 ص120/البداية والنهاية ج3 ص66.

115- انظر تفسير الطبري ج8 ص6501/تفسير ابن كثير ج3 ص

116- صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم 2900/ ابن ماجة: كتاب الفتن، باب الملاحم. رقم 4091.

117- مسند أحمد رقم 18957/الطبراني: المعجم الكبير رقم 1216.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألفا من بني إسحاق. فإذا جاؤوها نزلوا لم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها"[118]

فكانت هذه الأحاديث وغيرها مما وردت به السنة من الإفادة من الخبرة الإنسانية لدى الرومان في غلبتهم الأولى على العالم، وهو ما أشارت إليه أحاديث أخرى في إمكانية التحالف مع الروم لحرب الأعداء المتربصين بالبشرية السوء. فقد ورد قوله (**عليه الصلاة والسلام**): "ستصالحكم الروم صلحا آمنا، ثم تغزون أنتم وهم عدوا فتنتصرون وتغنمون وتسلمون، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي ثلول، فيرفع رجل من أهل الصليب الصليب، فيقول: غلب الصليب. فيغضب رجل من المسلمين، فيقوم إليه فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم ويجتمعون للملحمة."[119]

هذا التقارب الذي تكلمت عليه الأحاديث هو إشادة بالخبرة الإنسانية أينما كانت وحيثما وجدت، فالإسلام يعترف بالحكمة ويأخذ بها ويحضُّ عليها مهما كان مصدرها إذا كان موئلها نافعا، على اعتبار احترامه للحق واعترافه بالفضل ولو كان من الأعداء، وفي هذا نقرأ حديث النبي (**عليه الصلاة والسلام**) المشيد بخبرة الروم في الإدارة والتنظيم، ففي حديث المستورد القرشي عند عمرو بن العاص يقول:"تقوم الساعة والروم أكثر الناس"، فقال له عمرو: أبصر ما تقول؟ فقال: أقول ما سمعت من رسول الله(**عليه الصلاة والسلام**). قال له عمرو: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالا أربعة: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة، وأمنعهم من ظلم الملوك"[120].

118- صحيح مسلم:كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم 2920. قال القاضي عياض: "من بني إسحاق" كذا في جميع أصول صحيح مسلم، وقال بعضهم المعروف المحفوظ "من بني إسماعيل" وهو الذي يدل عليه لاالحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب. انظر النووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط1، بيوت، دار ابن حزم، 2002.ص2012.

119- سنن أبي داوود: كتاب ا الملاحم 4292./سنن ابن ماجة:كتاب الفتن الملاحم رقم4089.

120- صحيح مسلم:كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم 2898/مسند أحمد 18044.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا التقييم السياسي والاجتماعي لعمرو بن العاص رضي الله عنه لحالة الروم إنما هو عن خبرة عميقة بأحوالهم. لأنه كان تاجرا رحالة جاب أقطار الشام ومصر والحبشة في جاهليته.

تواصل النبي (**عليه الصلاة والسلام**) مع التجربة الرومية في مواضع عديدة فمنها أنه أباح الغيلة لأصحابه، وهي جواز الحمل حال الإرضاع[121]. ففي حديث جذامة بنت وهب الأسدية أنها سمعت رسول الله يقول:" لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن فارس والروم يصنعون ذلك ولا يضر أولادهم."[122]

ومن الإفادة من التجربة الإدارية للروم اتخاذه عليه الصلاة والسلام الخاتم للمرسلات الدبلوماسية، ففي حديث أنس: لما أراد النبي (**عليه الصلاة والسلام**) أن يكتب إلى الروم. قيل له: إنهم لا يقرؤون إلا كتابا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه: محمد رسول الله."[123]

وفي سبيل الإفادة من الخبرات الاجتماعية والاقتصادية للروم لم يمنع النبي (**عليه الصلاة والسلام**) أصحابه من التجارة إلى بلاد الشام، فقد اتجر أبو بكر وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما إلى الشام . ولبس النبي (**عليه الصلاة والسلام**) جبة رومية ضيقة الأكمام[124]، وأكل من جبن الروم في غزوة تبوك[125]. بل وذُكر أن اتخاذ المنبر لخطبة الجمعة كان بإشارة من تميم الداري، حيث ورد في رواية أن تميما قال: "ألا أتخذ لك منبرا يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك؟. قال: بلي"[126]. ويظهر أن هذه الإشارة أثر لما شاهده من

121- الفيروز آبادي: القاموس المحيط. مادة 6880. القاهرة، دار الحذيث، 2008. ص1213.

122- مسلم: كتاب النكاح 1442/سنن الترمذي: كتاب الطب 2084/سنن ابن ماجة: كتاب النكاح 2011.

123- البخاري: كتاب العلم رقم 65/ مسلم:كتاب اللباس والزينة رقم 2092/ سنن الترمذي.

124- مسند أحمد رقم 18265/جامع الأصول: كتاب الطهارة رقم 1303.

125- عبد الحي الكتاني: التراتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية. بيروت، دار الكتاب العربي. د، ت. ج2 ص162.

126- سنن أبي داوود: كتاب الصلاة رقم 1081. وانظر فتح الباري ج2 ص512.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اتخاذه في كنائس الشام للتسميع. وكذا أجاز النبي (**عليه الصلاة والسلام**) التعامل بالدنانير الرومية الهرقلية.

فكل هذه الدلائل وغيرها تدل على عمق التواصل مع التجارب الإنسانية المغايرة. وهي تجد شاهدا لها في دفع النبي (**عليه الصلاة والسلام**) أصحابه إلى تعلّم اللغات الأجنبية كالسريانية والعبرية، ففي حديث زيد بن ثابت: أمرني رسول الله أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، وقال: إني لا آمن يهود على كتابي. قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم. وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم"[127].

ولم يقتصر الأمر على دفع الصحابة لتعلم اللغات السريانية والعبرية، فهناك إشارات أخرى إلى أن النبي (**عليه الصلاة والسلام**) كان ينطق ببعض الكلمات الحبشية، وربما كان ذلك أثرة من تعلّم أصحابه للغة الحبشة عندما كانوا مهاجرين فيها مدة تزيد على اثني عشرة سنة. فقد ورد في حديث أم خالد بنت خالد: قالت:" أتيت رسول الله (**عليه الصلاة والسلام**) مع أبي وعليّ قميص أصفر، قال رسول الله: سنه سنه. قال عبد الله: وهي بالحبشة حسنة"[128]. كما ورد أنه عليه السلام تكلم ببعض الفارسية. ففي صحيح البخاري في باب من تكلم بالفارسية والرطانة من حديث أبي هريرة: "أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية: كخ كخ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة."[129].

ونقل في بعض الآثار أنه كان يعرف اللغات كلها استنادا إلى مبعثه للناس كافة، ونقل المدائني وغيره أنه كلّم سلمان الفارسي بالفارسية، ففي حديث ابن عباس أنه سئل :هل كلّم رسول الله بالفارسية؟ قال: نعم، دخل عليه سلمان فقال له:" درسته وسادته"

127- صحيح البخاري: كتاب الأحكام رقم7195/ سنن أبي داوود: كتاب العلم 3645.

128- صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير رقم 3071/جامع الأصول رقم 8318.

129- البخاري: كتاب الجهاد والسير رقم 3072/ مسلم:كتاب الزكاة رقم 1069/جامع الأصول رقم 2784.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال محمد بن أميل: أظنه: أهلا ومرحبا"[130]. وفي حديث أبي هريرة قال هجّر النبي(**عليه الصلاة والسلام**) فهجّرت، فصليت ثم جلست، فالتفت إلى النبي (**عليه الصلاة والسلام**) فقال: اشكنب درد: – ومعناه وجع البطن– قلت: نعم يارسول الله. فقال: قم فصل فإن الصلاة شفاء"[131]

وانسحب ذلك الاغتراف من التجربة الإنسانية حتى إلى قضايا اللهو واللعب والترويح، حيث كان الحبشة مشهورين بضرب الدف والرقص،كما ذكر ابن خلدون في مقدمته[132]. فقد حصل أن جاء وفد من الأحباش إلى المدينة المنورة فسمح لهم النبي (**عليه الصلاة والسلام**) بممارسة أشكال لهوهم في مسجده، بل وأخرج زوجته عائشة رضي الله عنها لتروّح عن نفسها. حيث ورد في حديث عائشة:"رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر. فقال النبي (**عليه الصلاة والسلام**): دعهم، أمنا بني أرفدة. يعني من الأمن."[133] وفي روايته: "وكان يوم عيد السودان بالدرق والحراب"[134]

وفي حديث عائشة أيضا: أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتدففان وتضربان، والنبي متغش بثوبه، فانتهرهم أبو بكر، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى"[135]. وفي الترجمة والشروح أنهما حبشيتان.

---

130 – انظر الكتاني: التراتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية، ج1 ص209.

131– سنن ابن ماجة: كتاب الطب رقم 3458. وفي اسناده ضعف. انظرالألباني: ضعيف الجامع رقم 411.

132– ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة. (ت درويش الجويدي) ط2. صيدا. المكتبة العصرية.1997. ص83.

133– صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم 3530/ صحيح مسلم: كتاب العيدين رقم 892.

134– صحيح البخاري: كتاب العيدين رقم 950/ صحيح مسلم: كتاب العيدين رقم 892.

135– صحيح البخاري :كتاب المناقب 3529/جامع الأصول رقم 6223.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الشواهد وغيرها تدل دلالة قاطعة على انفتاح السنة النبوية تجاه الجميل من الأعراف الإنسانية والخبرات العالمية، وكذا الانفتاح على اللغات المغايرة للاستفادة من الأغيار، وهو ما سبقت به الرسالة الإسلامية غيرها إذا ما قورنت بعض الديانات والثقافات المنغلقة التي تخاف الآخر وتهاب كل سواد في بياض ليس من لغتها. فالسنة النبوية بما سلف لم تأل جهدا في التواصل مع الصنيع الجيد للإنسان حيث كان، وأين وجد، وبأي لغة نطق أو كتب. لأنها تستبطن من ذاتها القيومية على الآخرين بما لها من خصائص الخاتمية والهيمنة المؤيدة بهدي الله رب العلمين.

رابعا: السنة النبوية وميراث اليهودية والنصرانية:

اعتبرت الرسالة الإسلامية ذاتها فقرة من سلسلة النبوات السابقة، فهي اللبنة المكملة، وهي الشريعة المهيمنة، وهي الدين الخاتم لما سبق، وكانت تصرّ بجلاء على انتسابها الإبراهيمي المحض، كما قال تعالى: ﴿**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين**﴾[136]، ﴿ **ملّة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل**﴾ [137]

وفي هذا الصدد كان النبي (**عليه الصلاة والسلام**) يحضّ على التواصل مع الحميد الباقي من هدي الأنبياء والمرسلين. ففي حديث جابر بن عبد الله قال النبي(**عليه الصلاة والسلام**): "مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة، فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء"[138]

جاءت الرسالة الإسلامية مكملة ومهيمنة على ماسبق، ولكن السنة النبوية لم تقم بالقطيعة الكاملة مع مواريث الأنبياء السابقين، ويظهر ذلك في الاتصال والانفصال مع

136- سورة آل عمران الآية 67.

137- سورة الحج الآية 78.

138- صحيح البخاري: كتاب المناقب رقم3534/ صحيح مسلم: كتاب الفضائل رقم 2287.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ميراث الديانتين اليهودية والنصرانية، الديانتين السائدتين غداة مبعث النبي (**عليه الصلاة والسلام**).

أ: اليهودية: حصل التواصل مع اليهود في المدينة المنورة عندما قبل النبي بهم أعضاء في دولتها بمقتضى عقد الصحيفة الوارد في كتب السيرة، فعندما هاجر النبي (**عليه الصلاة والسلام**) إلى المدينة كتب صحيفة لبيان حقوق وواجبات المتساكنين ومنهم اليهود الذين اعتبرتهم الصحيفة أصحاب دار لهم النصرة والأسوة. أي المساواة، وفرضت عليهم واجبات الانتصار للمسلمين والمشاركة في حماية المدينة من أي تهديد خارجي، وهي المعاني التي عبّرت عنها بجلاء بنود الصحيفة الآتية:

- وأن من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.
- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.
- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم[139].

لم يبدأ النبي اليهود بالعداء أو الاستعداء، ولكنه قبل بوجودهم داخل حرم مدينته، ومدّ حبل الوصال بدءًا من الاعتراف بهم أهل كتاب آمن بأنبيائهم وعزّرهم تصديقا لقوله تعالى: ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نُفرّق بين أحد من رسله**﴾[140].

بدأ النبي (**عليه الصلاة والسلام**) بالاقتراب والحوار والتعايش مع اليهود في وقائع عديدة سجلتها مرويات السنة النبوية، فمن ذلك أنه احتفى بذكرياتهم وأخبارهم عندما صام عاشوراء.ففي حديث ابن عباس: قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء. فقال:

139- محمد حميد الله:مجموعة الوثائق السياسية والإدارية ص39-47/ الروض الأنف ج4 ص171.

140 - سورة البقرة الآية 285.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ماهذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم. فصامه موسى عليه السلام.قال:" فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه."[141]

وأما التواصل التشريعي فقد كان في بداية الأمر يحب موافقتهم فيما لم ينزل عليه وحي. ففي حديث ابن عباس: "كان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق النبي رأسه."[142]

هذا في تقاليد الأزياء والزينة. وكذلك ورد أنه حكم لهم بحكم التوراة في رجم الزناة. ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله فذكروا إليه أن رجلا وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم. فقالوا:نفضحهم ويجلدون.فقال عبد الله بن سلام:كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له بن سلام: ارفع يديك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق."[143]

ولم يقطع المسلمون العلائق الثقافية مع مجاوريهم اليهود فكان التبادل والتساؤل والمحاورات والمناظرات التي لا تنتهي وقائعها، فكان النبي (**عليه الصلاة والسلام**) يسائلهم في أخبارهم ويسائلونه، كما في حديث السؤال عن الروح [144]. وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحُبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم**﴾[145]، أنها نزلت في حق يهود الذين كانوا

---

141 – صحيح البخاري :كتاب الصوم رقم 2004/ صحيح مسلم: كتاب الصيام رقم 1131.

142 – صحيح البخاري :كتاب المناقب رقم 3558/صحيح مسلم: كتاب الفضائل رقم 2336.

143 – صحيح البخاري :كتاب المناقب 2635/مسلم:كتاب الحدود 1699/ سنن أبي داوود:كتاب الحدود 4440.

144 – صحيح البخاري :كتاب العلم رقم 125/سنن الترمذي:كتاب التفسير رقم 3152

145 – سورة آل عمران الآية 188.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يخبرون النبي (**عليه الصلاة والسلام**) بخلاف ما سأل، ويحبون المحمدة[146]، كما أنه كان يطرق بيت المدارس –المدارش– وهو معهدهم الديني يسائلهم ويدعوهم إلى الإسلام[147].

وقد أذن للمسلمين في الرواية عنهم فيما لم ينزل به وحي، ففي حديث أبي هريرة، قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا "آمنا بالله وما أنزل إلينا."[148]."[149]

وفي حديث عبد الله بن عمرو: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح ما يقوم إلا إلى عظم صلاة."[150]

ونماذج تلك الأحاديث المبينة عن تواصل ثقافي كثيرة في السنة، مثل الأحاديث الواردة في قصص بني إسرائيل وأخبارهم، كحديث الأقرع والأبرص والأعمى[151] وحديث جريج [152] وغيرهم، وكتصديقه للحبر اليهودي[153] فيما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾[154]

ورغم الإحسان المبذول والرغبة الملحاحة في إسلام يهود إلا أن الكبر وغمط الحق أعمى أبصارهم فعادى عامتهم النبي وآذوه في شخصه كما هو الوارد في تسليمهم عليه

---

146 – البخاري:كتاب التفسير رقم 4567/ مسلم:كتاب صفات المنافقين رقم 2777/ تفسير القرطبي ج4 ص195.

147 – صحيح البخاري: كتاب الجزية رقم 3167

148 – سورة البقرة الآية 136.

149 – صحيح البخاري :كتاب التفسير رقم 4485

150 – سنن أبي داوود:كتاب العلم رقم 3663.

151 – صحيح البخاري:كتاب أحاديث الأنبياء رقم 3464/صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق 2964

152– صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء رقم 3436/صحيح مسلم :كتاب البر والصلة رقم 2550

153 – صحيح البخاري:كتاب التفسير رقم4811/صحيح مسلم:كتاب صفة القيامة رقم2786.

154 – سورة الزمر الآية 67.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقولهم: السام عليك يا محمد، وهو الموت، فرد: وعليكم، فترد عائشة: وعليكم السام واللعنة، فقال (**عليه الصلاة والسلام**): مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، قالت عائشة: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: فلم تسمعي ما قلت وعليكم."[155]

ظهر أثر هذا التواصل في بعض التسربات الثقافية للمسلمين، كما ورد أن عائشة رضي الله عنها كانت عندها لعب خيل تلعب بها لها أجنحة، فاستغرب النبي (**عليه الصلاة والسلام**) وقال: خيل لها أجنحة. فقالت: إنها خيل سليمان"[156]. والحديث يدل على أن الاختلاط الثقافي لم يكن منكرا. كما شهدنا الاستفادة من التجربة اليهودية في ميدان التجارة عندما لاحظ النبي هيمنة اليهود على عصب الاقتصاد في المدينة نتيجة لسيطرة اليهود على أسواقها. فأمر بإنشاء سوق موازية لسوق بني قينقاع للحد من هيمنتهم التجارية.

وفي مجال الزراعة استفاد المسلمون من تجربة اليهود في تنمية زراعات خيبر، فبعد فتحها عام سبع للهجرة أذن لهم النبي (**عليه الصلاة والسلام**) بالبقاء فيها، وإعطاء شطر منها للمسلمين، لأنهم أعلم بأرضهم من غيرهم ففي حديث ابن عمر: "أن رسول الله أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها."[157]

هذه الإشارات وغيرها كثير تدل على أن السنة النبوية لم تكن تضيق بالحكمة والخبرة الإنسانية ولو كانت من الأعداء المحاربين، فلم يوجد في زمن النبي (**عليه الصلاة والسلام**) أشد عداء من اليهود بنص القرآن الكريم: ﴿**لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾[158] ولكن ذلك لم يمنع من التواصل مع الحسن مما عندهم، والانفصال عن كثير من سوءاتهم وأخلاقهم المرذولة.

ب/ النصارى:

---

155 – صحيح البخاري: كتاب الأدب رقم 6014/صحيح مسلم: كتاب السلام رقم 2165.

156 – صحيح ابن حبان: باب اللهو واللعب رقم 5864/فتح الباري ج10 ص371.

157 – صحيح البخاري: كتاب المزارعة رقم 2331/ صحيح مسلم: كتاب المساقاة رقم 1551.

158 – سورة المائدة الآية 82.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اتسمت التجربة الإنسانية للنصرانية زمن البعثة الإسلامية بالانشغال بالقضايا العقدية المتعلقة بطبيعة المسيح المختلف فيها بين الفرق النصرانية، والتي تحاربت فيما بينها، وزاد الأمر سوءا تبني الدولة البيزنطية لمذهب واحد هو الملكاني، ومحاربة المذاهب الأخرى، بل وإبادتها كما حصل ليعاقبة مصر المتمردين على قرارات مجمع خلقدونية[159]. إضافة إلى النساطرة الذين وجدوا في الدولة الفارسية ملجأ يقيهم كيد الملكانيين، أما الأريوسيون الموحدون فقد كانت مصائرهم مظلمة توزعت بين القتل والسجن والنفي منذ رفضوا مقررات مؤتمر نيقية (325م) المنادية بألوهية المسيح والثالوث[160].

غداة البعثة الإسلامية كان تميّز النبي (**عليه الصلاة والسلام**) واضحا في معرفته للواقع العقدي المتشرذم للنصارى. وهذه المعرفة النبوية بالمذاهب المسيحية لها شواهد كثيرة، وهي تدل على مسألة التواصل مع الميراث الديني للعالم القديم. واعتبرها كثير من الخائضين في علوم مقارنة الأديان أصلا أصيلا لعلومهم. فمن شواهد المعرفة النبوية بالميراث الديني المسيحي ما يأتي:

إرساله صحابته المضطهدين في مكة إلى الحبشة وهي على دين النصرانية، وكان ملكها قريبا من المذهب التوحيدي في النصرانية بدليل إجابته لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال له:"إن عيسى هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول". فضرب النجاشي بيده فأخذ منها عودا، ثم قال له: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود." وقد انتهى هذا النجاشي إلى الإسلام فأسلم وصلى عليه النبي عندما مات صلاة الغائب. ففي حديث جابر أن النبي (**عليه الصلاة والسلام**) صلى على النجاشي[161]، وفي روايته: قد توفي رجل صالح من الحبش، فهلم فصلوا عليه، وفي رواية أبي

159 –الغزالي محمد:التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، ط3، القاهرة، دار نهضة مصر، 2003 ص97.

160 – انظر أبو زهرة محمد:محاضرات في النصرانية، الجزائر، دار الشهاب، 1989.ص196.

161 – صحيح البخاري: كتاب الجنائز رقم 1317/ صحيح مسلم:كتاب الجنائز رقم 952.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هريرة: نعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه النجاشي، ثم تقدّم فصفوا خلفه، فكبر أربعا"[162]

وأرسل النبي (**عليه الصلاة والسلام**) إلى هرقل ملك بيزنطة الملكاني كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام وجاء فيه:"إني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين."[163]

وقد اختلف الشراح في تفسير كلمة الأريسيين في أنهم الفلاحون، أو أنهم الضعفاء المغلوبون كما قال الخطابي، أو أنهم العشارون[164]. ولكن الصحيح أنهم أتباع القديس أريوس الذي نادى بالتوحيد وإنسانية المسيح فتم طرده ولعنه من مجمع نيقية، وحورب أصحابه حربا شنيعة، وكان النبي (**عليه الصلاة والسلام**) على علم بها، وهو ما يدل على سعة الأفق النبوي في معرفة الاختلافات الدينية في ذلك الزمن.

ولما ورد عدي بن حاتم إلى النبي (**عليه الصلاة والسلام**) وكان نصرانيا، قال له: ألم تكن ركوسيا. قال: بلى"[165]. ولا ندري على الحقيقة معنى اللفظة، وورد أنه مذهب بين المسيحية والصابئة[166]، ولكنها ربما تدل على إحدى الطوائف المسيحية المندثرة.

لما ورد نصارى نجران إلى النبي (**عليه الصلاة والسلام**) في العام العاشر للهجرة وأنزلهم في مسجده وبقي يناظرهم في حقيقة عيسى خمسة عشر يوما حتى كان يراوح بين قدميه. ولما يئس من إجابتهم دعاهم إلى المباهلة فامتنعوا كما هو الوارد في التفسير[167] في قوله تعالى: ﴿**إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل**

---

162 – صحيح البخاري: كتاب الجنائز رقم 1318–1320/ صحيح مسلم: كتاب الجنائز رقم 952

163 – صحيح البخاري: كتاب بدأ الوحي رقم 7 وكتاب الجهاد والسير رقم 2941.

164 – ابن حجر: فتح الباري ج1 ص54.

165 – السهيلي عبد الرحمن :الروض الأنف ج7 ص478/أسد الغابة ترجمة رقم 3611 ج3 ص335

166 – راجع تفسير الارتكاس في تفسير القرطبي، .ج 5 ص198.

167 –رشيد رضا:تفسير المنار ج2 ص166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[168] وقد أخرج الشيخان: "أن العاقب والسيد- سيدا نصارى نجران- أتيا رسول الله فأراد رسول الله أن يباهلهما. فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه فو الله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح أبدا ولا عقبنا من بعدنا."[169]

وهذا يدل على قمة الإفلاس في مقارعة الحجة بمثلها. ويدل على معرفة النبي (**عليه الصلاة والسلام**) وتميّزه العلمي المؤيد بالوحي في هدم ونقض عقائد المخالفين.

لم يغلق النبي (**عليه الصلاة والسلام**) استيراد الخبرة من النصارى فيما يعود بالنفع على المسلمين كما ذكرنا في فكرة المنبر، أو في فكرة استعمال النعش في الجنازة، حيث أخرج ابن سعد أن أسماء بنت عميس –زوج جعفر بن أبي طالب- هي من أشارت بالنعش، وقد رأته بالحبشة النصرانية[170].

ولكن الانفصال مع التجربة النصرانية كان قاطعا في ما يعود على العقيدة الصحيحة بالنقض أو التحريف، فقد جاء في حديث أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"[171]

---

168 – سورة آل عمران الآيات 59-61.

169 – صحيح البخاري:كتاب المغازي رقم 4382/ صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة رقم 2420.

170 – انظر الكتاني:التراتيب الإدارية ج2 ص166/السنن الكبرى للبيهقي رقم 13805.

171 – صحيح البخاري:كتاب مناقب الأنصار رقم 3873/ صحيح مسلم:كتاب الصلاة رقم528.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء التحذير في مرض موته (**عليه الصلاة والسلام**) من هذه التجربة المنحرفة عن التوحيد:"لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".قالت عائشة:" ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا."[172]

وفي هذه الشواهد السالفة دلالة على مسألة الاتصال بالتجربة النصرانية أو الانفصال عنها. والمعيار في ذلك هو صون العقيدة من التحريف وتيسير الحياة الاجتماعية ما وجد المسلم لذلك سبيلا من أي حكمة أو تجربة يتلقفها من الموافقين أو المخالفين.

الخلاصة: ويمكن الخلوص من هذه الشواهد المستقاة من السنة النبوية إلى انفتاح العقل المسلم على التجارب الإنسانية والمعارف البشرية والأنظمة المعرفية في تبنيه الصالح منها لفائدة الإنسان المستخلف في هذا الكون، كما أنها تبين عن قمّة التواصل الرسالي مع النبوات السابقة على الرغم من خاتمية الرسالة الإسلامية وهيمنتها على ما سبق، ولكن هذه الشواهد ترشد العقل المسلم في الحاضر إلى وجوب الانفتاح على النافع من الخبرات من البشرية دون التطويح بالأصول والمطلقات أو العود عليها بالنقص أو النقض أو التشويه، باعتبار حضور البعد الإنساني في رسالة الإسلام، إذ الدين مطلق لا تبديل فيه لكلمات الله، ولكن التدين يخضع للقدرة والاجتهاد البشري المرتبط بالاستطاعة والمكنة، وهي عوامل مختلفة المراتب والوجود في الواقع الإنساني، والمسلم حقيق بالانتصار لدينه بما وجد من خبرات ومعارف موروثة من أسلافه، أو مقتبسة من غيره بشرط الخضوع للقيم التي يبنى عليها الإسلام ويكمل بها الإيمان.

172 – صحيح البخاري:كتاب الجنائز رقم 1390/ صحيح مسلم:كتاب الصلاة رقم 529.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com